

رئيس التحرير المسؤول
العهد منير عقيقي

ذكرى أم عيد؟

عليه، فإن هذا اليأس، اينما وجد، مردود على اللبنانيين انفسهم ومن دون استثناء. فهو نتيجة وليس سببا واقعيا. الجماعات اللبنانية في معظمها، تتعاطى مع الدولة كأنها لزوم ما لا يلزم، وانها تنمة لـ"اساس" هو الجماعة وقادتها. كلها تأتي الى الدولة كأنها امتيازات لهم، ومغانم يجب ان تتوزع. في حين يجب ان تتحد كلمة "المواطنة" وقيمتها المعنوية بسلوك الجماعة، وان تستمد الجماعة قوتها وكرامتها من سلطة الدولة المرتكزة على العدالة والقانون، فتنتفي حينذاك الملامة او التهرب من المسؤولية ورميها على الآخر. فالدولة هي نتاج عقد اجتماعي يفضي الى قيام نظام حكم مهمته الانتقال بالدولة الى مسار التقدم وادارة شؤون البلاد والعباد.

يأمل اللبنانيون في ان تتمكن السلطة التنفيذية، بمعاونة مجلس النواب، في عهد الرئيس العماد ميشال عون، من تحقيق الرؤى المستقبلية التي وضع بنيانها رأس الدولة، ورافقتها في مسيرته النضالية ونهجه السياسي. فحتفل في مناسبة الاستقلال في كل عام بالاعلان امام المواطنين: - عن انجازات بنوية تطاول تطوير المؤسسات الرسمية على مختلف انواعها، وتحديث اداراتها وترشيد عملها، وتحفيز العاملين فيها، وابعاد سرطان الواسطة والرشوة عنها وعن المسؤولين فيها.

- عن اطلاق مشاريع بيئية واجتماعية وصناعية وسياحية وتجارية...، تعوّض النقص الحاصل منذ زمن على مساحة كل الوطن.

ان يواكب الاحتفال بالاستقلال الاعلان عن انجازات ينتظرها اللبنانيون بشغف، يعني ان نحول هذه "الذكرى" الى "عيد"، يمتد على كل ايام السنة، والا سيبقى العيد مناسبة ومحل تندر فيه الكثير من الكوميديا السوداء.

لم يحصل ان تم النيل من مناسبة الاستقلال من البعض (دعوات الى الغاء الاحتفال بالاستقلال، تحوير كلمات النشيد الوطني...)، كقيمة ومعنى وطنيين كما حصل هذا العام، علما اننا ومن باب المفارقة يحدث ان لبنان واللبنانيين يستحقون الاحتفال بالاستقلال، او الاصح يجب ان يحتفلوا، لأنه منذ اواسط ستينات القرن الماضي لم يسبق ان كان البلد سيدا وخاليا من قوى مسلحة اجنبية كما هي الحال الآن، باستثناء قوات الامم المتحدة المنتشرة في الجنوب بموجب القرار الدولي 1701. كلنا يعرف انواع وصنوف الجيوش والمنظمات التي اقامت في طول البلاد وعرضها من دون استثناء، وصادرت الاستقلال وافرغته من مضامينه الحقيقية. وبالرغم من كل ذلك كان شوق اللبنانيين الى هذه المناسبة عظيما.

في المبدأ والواقع، فإن الاستقلال هو لحظة اعلان "الرشد السياسي" التي يتم الاجهار بها للتخلص من مستعمر، او محتل، او وصي. تاريخ لبنان الحديث مليء بالاحتلالات والوصايات والهيمنات. لكن هذه السنة، فإن الاستقلال حق مستحق بعد دحر الارهاب، وبسط الجيش والقوى الامنية، سلطة الدولة على سائر الاراضي اللبنانية باستثناء تلال كفرشوبا ومزارع شبعاء المحتلتين من الكيان الصهيوني، ناهيك بالنقاط العديدة موضع الخلاف على امتداد الخط الأزرق الفاصل مع فلسطين المحتلة.

حديث البعض عن استهداف مناسبة الاستقلال، وجعله "مثار تندر وسخرية"، يستحضر في الذهن قول ابن خلدون انه "اذا رأيت الناس تُكثر الكلام المضحك وقت الكوارث، فاعلم ان الفقر قد اقبح عليهم، وهم قوم بهم غفلة واستعباد ومهانة كمن يساق الى الموت وهو مخمور...". عمليا، هذه هي حال لبنان بالتمام والكمال. فما صار عليه البلد من واقع، انما كان نتاج مسار طويل لم تُراع فيه قواعد واسس الحرص على بناء الدولة، فكان ما كان. صار لزاما التداعي المتنوع، بتنوع الثقافات اللبنانية، الى التمسك بالعقد الاجتماعي الذي ينظم قواعد الحكم وآلياته. فالياس اللبناني العام قد يكون له الكثير من العوامل التي تبرره وتجعله مشروعا.

الى العدد المقبل